الملحق الثقافي

ملحق أسبوعي يصدر كل ثلاثاء عن جريدة الثورة - العدد 1105 2022/8/2

ملف العدد

القيم المجتمعية في ظل الحروب

أول الكلام

ربحنا.. ولن نخسر

▪ ديب علي حسن

مع أن مصطلح الربح قد يكون أقرب إلى البيع والشراء وليس بمكانه المناسب هنا لكن للضرورة كما يقال أحكامها..

نعم، يجب القول: انتصرنا في حربنا على الإرهاب في تصدينا عبر عقود من الزمن لكل عتاة الأرض وإن كانت المواجهة قد أخذت شكلها الجديد في العقد الأخير من خلال تحالف أدوات العدوان وما كان ...ثبت الشعب السوري تمسك بأرضه كان ومازال مع جيشه وقيادته ..واستطاع أن ينتصر ..

ولكن الثمن كان غالياً، ومع هذا لم ولن يتوقف عن اجتراح فعل النصر ...في الحروب تحدث الكثير من الندوب ويطفو على السطح الكثير من العفن ..تتغير قيم وتحل محلها قيم أخرى..يظهر انتهازيون وفاسدون ..وهذا طبيعي تتشوه بعض القيم هذا كله يحصل ولكنه لن يدوم طويلاً ...لابّد من علاجه من التصدي له فالعدوان يجدد أساليبه وعلينا أن نكون أكثر قدرة على المواجهة ونحن قادرون على ذلك بمؤسساتنا الثقافية والفكرية والمجتمعية والإعلامية..

لم نخسر قيمنا أبداً، ومع ذلك علينا العمل على ترميم ما تصدع ...وهنا نستذكر حال تلك الألمانية التي كانت تقف في الانتظار فجاء من يأخذ دورها ..نظرت إليه بغضب وخاطبته قائلة : صحيح خسرنا الحرب لكننا لم نخسر القيم ...

نحن انتصرنا على العدوان الخارجي، ولم ولن نخسر قيمنا ..ربحنا المعركة وعلينا الاستعداد لمعارك دائمة ومعركة البناء القيمي والمجتمعي هي اللبنة الأولى في ذلك وهذا دور الجميع الثقافة والفكر والإعلام قبل أي مؤسسات أخرى.

عقل الأمة وضميرها

ياللسعادة أن نكون معاً

لماذا ينتحر المبدعون؟

حين تعطب الثقافات

رئيس التحرير
أحمد حمادة
مدير التحرير
معد عيسى
إشراف
ديب علي حسن
الإخـــــراج
هدى نصر شمالي

توجه جميع الرسائل
باسم هيئة التحرير
دمشـــق ص.ب ٢٤٤٨
هاتف ٢١٩٣٢٢٢

مؤتمر

أدباء من أجل العروبة ..عقل الأمة وضميرها ..

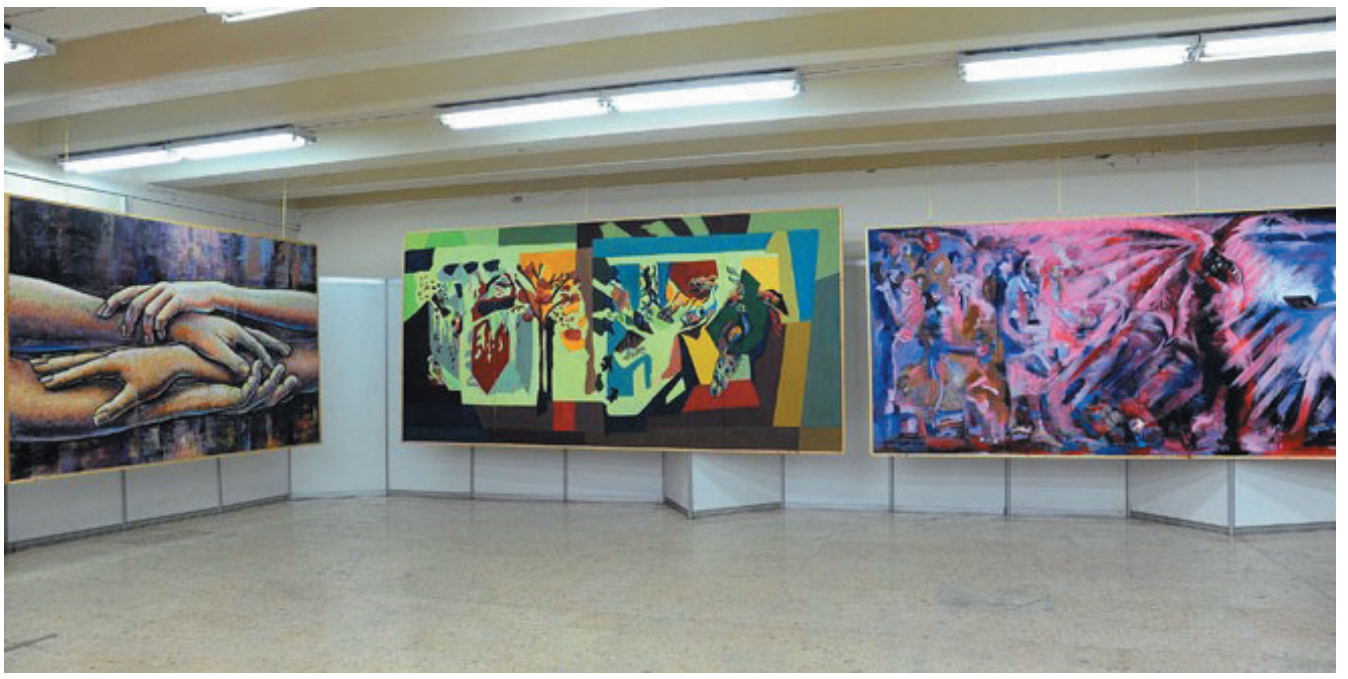

من اثنتي عشرة دولة عربية يمثلون قبل كل شيء شعوبها وكتابها تداعوا إلى دمشق في مؤتمر الأمانة العامة للكتاب العرب.

في دمشق على مدى ثلاثة أيام كان المؤتمر الذي عده المشاركون أنه ليس مؤتمراً عادياً وإنما هو وقفة اعتزاز مع سورية ومباركة نصرها، سورية التي تنتصر لأنها روح العروبة والمقاومة وهي الملاذ لكل مناضل من أجل الكرامة والحرية والشرف.

عقدوا الندوات وكان المهرجان الشعري على مدى يومين صدح فيه الشعراء بحب سورية ومجد دمشق.

وأعلنوا الموقف الحاسم من التطبيع الذي يهرول إليه البعض ..لا تطبيع أبداً ..بل مقاومة للتطبيع وأدواته.

وفي استقبال السيد الرئيس بشار الأسد للمشاركين كانت المحطة التي توجت التوجهات التي انطلق منها الكتاب والمشاركون وفي حديثه إليهم .. اعتبر الرئيس بشار الأسد أنّ الحديث مع المفكرين والأدباء يعني الحديث مع عقل الأمة وعقل الشعب، مؤكّداً الحرص على اللقاء مع المنظمات والاتحادات الشعبية، لأنّها تعكس الصورة الحقيقية للشعوب العربية وتعبّر عن نبض الشارع العربي.

وأشار سيادته خلال استقباله المشاركين في اجتماع الأدباء والكتّاب العرب المنعقد في دمشق إلى أنّ أخطر ما يمكن أن تتعرض له المنطقة العربية هو ضياع الهوية، وأنّ ما يحصل في سورية هو ليس حرباً عليها بالمعنى الضيق، بل لابد من أن نرى هذه الحرب بالمعنى الأكبر وهي الحرب على الانتماء.

كما اعتبر الرئيس الأسد أنّ جزءاً من الحرب التي نتعرض لها تتعلق بالمصطلحات التي يتم تسويقها من قبل الغرب، حيث أنّ هناك مفكرين في منطقتنا لم يستوعبوا خطورة هذه المصطلحات وبالتالي لم يستطيعوا تفكيكها، لذا فإنّه من الضروري أن نعيد تركيب هذه المصطلحات بالمضمون الذي يتناسب مع فكرنا وانتمائنا ومع العروبة بمعناها الحضاري العام والشامل.

وشدّد الرئيس الأسد على أهمية الحوار الفكري لأننا يجب ألا نفصل الفكر عن السياسة وعن المجتمع، ويجب أن نفكر ما هي الشخصية الجامعة التي نعمل عليها من أجل بناء الإنسان وتعزيز الانتماء للأرض وللأوطان، مشيراً إلى أنّه بمقدار ما يجب العمل لدعم المثقف يجب أن نعمل على موضوع رفع مستوى المجتمع من الناحية الفكرية، وألا يكون المثقف في مكان والمواطن في مكان آخر.

بدورهم أكّد الكتّاب والأدباء العرب أنّ وجودهم في سورية ليس من أجل عقد اجتماع دوري فقط، بل للحديث عن العروبة بالمعنى الجامع والحضاري الحاضن للجميع، ولنقاش الوضع العربي وقضايا الأمة، واعتبروا أنّ استهداف الهوية الثقافية مقدمة لاستهداف الهوية الوطنية والعربية برمتها، لذلك لا بدّ من تحقيق الأمن الثقافي والذي أصبح ضرورة للأمن القومي العربي.

وأشار الكتّاب والأدباء العرب إلى أنّ الفكرة التي يتم الترويج لها بأنّ الشعب العربي مع التطبيع هي فكرة مضللة وغير صحيحة، لأنّه حين يتداعى رؤساء وأعضاء اتحادات الكتّاب العرب من ١٢ دولة عربية إلى سورية تحت عنوان « أدباء من أجل العروبة» فهذا يعني أنّ ضمير الأمة ما زال بخير، معتبرين أنّ انتصار سورية هو انتصارٌ للأمة برمتها لأنّها سورية الفكر وسورية المقاومة وسورية التاريخ.

وكان البيان الختامي لمجلس الاتحاد العام للأدباء والكتاب العرب:قد أدان الإرهاب الفكري ودعا إلى ضرورة تجفيف مصادره الثقافية والاقتصادية والسياسية.

وأكد عروبة الجولان السوري المحتل وهو أرض سورية وعلى الاحتلال الإسرائيلي الانسحاب منه و القضية الفلسطينية هي القضية المركزية للعرب ودعم نضال الشعب الفلسطيني لاستعادة حقوقه كاملة وإدانة التطبيع بكل أشكاله

وقال :الإرهاب يشكل الخطر الأكبر على مستقبل الأمة العربية والقيم الإنسانية

البيان: الحفاظ على وحدة اليمن وصون تراثه الثقافي والوقوف مع الشعب العراقي المقاوم ورفض التدخل الخارجي في شؤونه

وقد أدان ما يتعرض له الشعب الفلسطيني من ممارسات قمعية من قبل الاحتلال الإسرائيلي والاعتداء على الحريات وإرهاب الفلسطينيين والتضييق عليهم.

نعم سورية العروبة ونبضها وقلبها ولا عروبة دونها وعلى الكتاب والمفكرين والمبدعين الذين قال عنهم الرئيس الأسد أنهم عقل الأمة وقلبها وضميرها واجب العمل وفق البوصلة التصدي لكل عدوان والانطلاق من قضايا الأمة ومن اجلها.

كتاب العدد
حسب الترتيب الهجائي
أحمد علي هلال
أمل دكاك
ثائر زين الدين
خلود شحادة
عبد الحميد غانم
علم عبد اللطيف
غسان كامل ونوس
سهيلة اسماعيل
مها محفوض محمد

انتماؤنا الأصيل صان القيم

عبد الحميد غانم

الحرب حدثٌ يفتّتُ الوعي ويفصم الذاكرة. ومع انتهائها تجيءُ ثقافةٌ أنتجتها الحرب، وتحلّ نخبة جديدة مكان النخبة القديمة وقيم جديدة محل القيم القديمة ربما تكون مغايرة أو متناقضة أو شبيهة بواقع ليس بالواقع المعتاد.

قبل الحرب، توالت تغيرات اجتماعية وثقافية على مجتمعنا السوري في العقود القليلة الماضية نتيجة ظهور ظاهرة العولمة وما رافقها من ثورة معلوماتية، إذ أحدثت تغيراً في المواقف والاتجاهات والقيم الإنسانية لدى أفراد المجتمع، جعلت العالم أكثر اندماجاً، وجعلت التحولات سريعة وساهمت في انتقال المفاهيم والقناعات والمفردات والأذواق فيما بين الثقافات والحضارات وهي التي نقلت العالم من مرحلة الحداثة إلى مرحلة ما بعد الحداثة وبالتالي في دخوله إلى عصر العولمة.

إن ثورة التغيرات كان لها دور في تغير الثقافة الموروثة للمجتمعات. إن المعلومات والاتصال قد أثرا في حياة الأفراد وهي اليوم من أهم العوامل التي تعقد تشكيل خبرات وثقافة وأذواق وسلوكيات الأفراد والمجتمعات.

لقد ترتب على الثورة المعلوماتية حدوث تغير اجتماعي متسارع في القيم والمعايير والمؤسسات والعلاقات الاجتماعية والانفتاح الإعلامي الثقافي الحضاري العالمي بفضل وسائل الإعلام السريعة.

وتقف الأسرة في مجتمعنا في ظلّ تلك التطورات حائرة بين المحافظة على الثقافة الموروثة وبين الثقافة الغربية الناجمة عن العولمة والمعلوماتية التي غزت العالم بما تملكه من تقنيات متطورة وأساليب إغواء إنساني له خصوصياته الثقافية بحكم تاريخه الاجتماعي.

إلا أن العولمة تطمح إلى صوغ ثقافة كونية شاملة تغطي المنطقة العربية والعالم مثل مختلف جوانب النشاط الإنساني وتكون ما يسمى بالقواعد الأخلاقية الكونية والتي تركز على شعارات حق يراد بها الهيمنة والسيطرة الحرية السياسية والتعددية الفكرية واحترام حقوق الإنسان وتقبل الآخر.

ما من شك أن سورية واجهت خلال الحرب الكونية التي استهدفتها على أكثر من صعيد ومن قبل جهات وأطراف عديدة صراعاً قيمياً لافتاً، وفوضى قيمية كبيرة، وفراغاً أخلاقياً مهولاً، وتعديلاً مستمراً للأنساق والمنظومات القيمية، بل أكثر من ذلك خطورة هو الإهمال الكبير للإنسان المعاصر حتى لفكرة القيم والوعي بها، الأساس الذي اعتمده أعداء سورية في الحرب من إرهاب فكري وسياسي وإرهاب اقتصادي وإرهاب مجتمعي أرادت من خلاله إخضاع سورية دولة وشعباً وجيشاً وحضارة ومستقبلاً وطمس هويتها وتقسيمها وتحويلها كما الأخلاق والقيم إلى واقع يناقض طبيعتها وأصالتها وتراثها وثقافتها.

إننا في سورية وبعد سنوات من الحرب، نجتاز فعلاً أزمة قيم مدمرة، تشابكت أصولها وفصولها وأسبابها ودواعيها، فكان من الواجب أن يقف الإنسان المعاصر وقفة مع الذات ليطرح بعض الأسئلة: هل يمكن العيش دون قيم؟ وهل يمكن العيش في العالم دون ضوابط أخلاقية وسلوكية؟ وما القيم التي يجب أن نعيش بها؟ ولماذا تلك القيم بالضبط؟ وهل القيم جماعية أم فردية؟ وهل القيم ثابتة ومطلقة أم متغيرة ونسبية؟ من يصنع القيم وينتجها: القوي أم الضعيف؟ وعلى أي أساس؟ وكيف تتغير الأنساق القيمية؟

وفي ظلّ طغيان وسائل التواصل الاجتماعي وما تقدّمه من مادة سهلة سريعة لا تتطلب الكثير من الجد والتدقيق، وفي ضوء طبيعة برمجة وسائل التواصل الاجتماعي، أصبح الكاتب أو الأديب والمثقف بشكل عام أمام مسؤوليات جسام لا يستطيع أن يتجاوزها أو يهمشها من تفكيره، فإن القارئ أو المتابع للحركة الثقافية والفكرية أصبح واعيا لحقيقة ما يكتب ويعرض عليه ثقافياً وفكرياً، خاصة أنه توفرت لديه الأدوات السهلة للتعبير عن رأيه وردة فعله على ذلك من خلال قنوات التواصل الاجتماعي.

ففي حالات الحرب والتردّي الاقتصادي تراجعت أهمية الثقافة والفكر حتى دور المثقف والمفكر لم يعد ينظر إليها نظرة المهتم والقادر على التغيير وإحداث التقدم، وتضاءلت وسائله وأدواته في استيعاب التطورات ومواكبة آلياتها الجديدة، فالحرب أثرت على اهتمامات الناس ولم يعد يفكرون في ظل ما أعقب الحرب من ترد اقتصادي أصابت حالته المعيشية يعيرون الاهتمام للثقافة والنظريات الفكرية، ويتعاملون معها كمنهج عمل في حياتهم، التي غلب عليها المادة وتأمين لقمة العيش، فأصبح كلّ فرد في المجتمع يستسهل المعرفة التي تأتيه عبر التواصل الاجتماعي، ولم يعد يكلف نفسه بالبحث عن الأفكار الحقيقية التي تساعد على تنويره وتثقيفه وتمكنه من كشف الغث والسمين في المعروض من الثقافة والفكر.

ألم تصبح القيم اليوم مجرد أغطية أيديولوجية تتستر خلفها آليات سلطوية؟ ألم تصبح القيم اليوم تصنع في مصانع السياسة؟ الأزمة القيمية أمُ الأزمات كلها: إن ما يتهدد الكيانات الحضارية لا يكمن فقط في الأوبئة أو الحروب أو الغزوات العسكرية مهما اشتدت ضراوتها، على الرغم من أنها أحدثت وبالاً على الشعوب وكادت تبيدها، لكنها مجتمعاتها استطاعت أن تنبعث من جديد، والسر في ذلك يعود إلى أن القيم التي أقرتها والتي تأسست عليها هذه الأقوام بقيت حية فيها، ومن ثم فمن الضرورة حماية الخصوصيات الحضارية للأمم والشعوب، أو ما نسميه بالأمن القيمي، وذلك على اعتبار أن التحول في القيم هو بالضرورة تحول في الذات الحضارية. لذلك نقول :إن الميزة التنافسية لأي أمة لا تكمن في إمكاناتها المادية، بل في قيمها وأخلاقها.

إذا عدنا إلى تعريف الثقافة، بأنها تعبير عن الحياة الاجتماعية الكلية للإنسان، بما تنطوي عليه من قدرات ومهارات وعادات وتقاليد تكتسب في الجماعة البشرية ذاتها، وهي الذاكرة الجمعية لأي مجتمع، وأساس هويته وانتمائه وتميزه، مثلما هي قاطرة نحو التنمية المستدامة للمجتمع في شتى المجالات الفكرية والاقتصادية والاجتماعية.

وتنبع أهميتها من الجدارة التي أثبتتها في حفظ الذاكرة والتاريخ، واستنهاض مختلف التعبيرات والخصوصيات الثقافية، وفي إغناء وإفادة المجتمع، وإعطائه حضارة متألقة. والثقافة بهذا المعنى، هي سجل مفتوح يواكب تطور المجتمع وسيرورته، ويخضع عبر مجريات التاريخ لتفاعلات عدة تؤثر عليها من حيث الوظيفة التي تؤديها تجاه الأفراد والجماعات البشرية.

وعلى المستوى الأنثربولوجي، تعدّ الثقافة أسلوب الحياة أو طريقتها التي يعيشها أي مجتمع بما تعنيه من تقاليد وعادات وأعراف وتاريخ وعقائد وقيم واهتمامات واتجاهات عقلية وعاطفية ومواقف من الماضي والحاضر ورؤى للمستقبل. إنها طريقة تفكير وأنماط سلوك ونظم ومؤسسات اجتماعية وسياسية وما يعيشه المجتمع من انفتاح أو انغلاق.

من هنا نرى أهمية الثقافة والفكر في المجتمع قبل الحرب وخلالها وبعدها. والشيء المهم في اللوحة المعرفية وجود التنوع الثقافي، الذي شكل لسورية مورداً وثروة وسم كيانها المجتمعي، وشكل لها قيمة مضافة وامتيازاً ثقافياً غنياً.

ومن هنا أيضاً تبرز أهمية الكتابة الابداعية في الثقافة والفكر ونوعيتها وسماتها بأن تكون كتابة عقلانية واعية فاهمة بعمق لما يجري، وقادرة على عرض الأفكار بوضوح تتجاوز الآني، وتعبر بعمق إنساني عن تطلعات المجتمع بعيداً عن الانفعال والتأثر بالأفكار السطحية فارغة المضمون ولها ايقاع فضفاض.

انتماء السوريين الوطني صنع المستحيل، بعكس ما أرادت قوى العدوان عبر محاولة تخريب الفكر الأصيل لديهم، لكنها فشلت وأخفقت، رغم أنها فصّلت أجنداتها التخريبية بكل إتقان، وأنشأت لها مراكز البحوث الاستراتيجية والمعاهد الأكاديمية والجامعات، والمحطات الفضائية، بل والإمبراطوريات الإعلامية الكبرى، وجندت لها ملايين العناصر والأدوات، ورصدت لها آلاف المليارات من الدولارات حتى تنجح في مخططها الاستعماري.

مجتمعاتنا والتحوّلات والمسؤوليّة

غسان كامل ونوس

ليس غريباً أن تتأثّر المجتمعات وشرائحها المتنوّعة؛ بالأحداث الكبرى، التي تتعرّض لها أوطانها، وتختلف درجات التأثّر، وأشكاله، وأعماقه، حسب هذه الأحداث، وضراوتها، وامتدادها، وحسب مستويات المجتمعات والأفراد فيها؛ وعياً وحصانةً معنويّة، وكفاية ماديّة، وانتماء. وليست مجتمعاتنا استثناء؛ ولا سيّما أنّ ما فرضته الحرب العدوانيّة على سوريّة، كان قارساً وشرساً، على مختلف الشرائح والمستويات، وعلى امتداد أراضيها، وفي جميع مجالات العمل والحياة؛ مع تأكيد ما هو معروف، بأنّ وقعها كان مباشراً على كثير من السكّان في مناطقهم ومدنهم وقراهم؛ قصفاً وعنفاً وخطفاً وتقتيلاً وترويعاً وتهجيراً قريباً أو بعيداً؛ وغير مباشر على آخرين؛ عطالة وبطالة ونقصاً في الأنفس والحاجات والمتطلّبات، وتوزّع الناسَ جميعاً؛ وإن بدرجات، لا تتفاوت كثيراً، الخوف وانعدام الأمن والأمان، والقلق على الحاضر والآتي، والتشوّش والتضليل في المرويّات والمسموعات، والعكر والخراب في المشاهد والمرئيّات..

ولا شكّ في أنّ كلّ هذا، انعكس سلبيّاً على تفاصيل الحياة ومفرداتها، وعلى العلاقات والمعاملات، والنظرة إلى الذات والآخر، الذي قد يكون أقرب الناس، والخوف عليه، أو منه، والسعي إلى النجاة بالنفس، والخلاص الفرديّ حيناً، والجمعيّ حيناً آخر. ومن المألوف أن تهيمن الإشاعات، وتتّسع دوائر الشكّ، وتضطرب الدوّارات أكثر في البرك التي بقيت مستقرّة في المكان، بعدما ألقيت فيها الحجارة غير الكريمة، والنفايات الملوّثة، والأفكار السامّة، فما بالك بتلك التي تشكّلت على عجل أو خطر، أو رجوى أمان؟!

ولكن إلقاء كلّ شيء على تلك الوقائع خلال ما يزيد على عقد من أشكال الحرب المشوّهة، وأنواعها الجاحدة؛ على شراستها وحدّتها وحراجتها، يجانب الصواب؛ فلا يمكن تجاهل ما يصيب العالم من شروخ وأزمات ونكبات وأوبئة؛ ليس آخرها كورونا ومتحوّلاته، ولا ما كان قبل الأحداث الأليمة لدينا، وما أثاره موقدو الفتن والحرائق ومرتكبو الفظائع، والدعم المادّي والإعلاميّ اللامحدود للبؤر المجرثمة، والنيات الآثمة والقاتمة، يتحمّل عبئاً مهمّاً من أسباب ما صار؛ كما أنّ من الظلم ألّا ينظر بعين رضيّة على كثير من الأقوال المشرقة؛ تسامحاً وتفاؤلاً وتواصلاً سليم الغاية والآليّة، وكثير من السلوكات الأصيلة، والمواقف النبيلة، التي تجلّت في الميادين المشتعلة، أو المستعدّة لمواجهة النيران؛ ولا يمكن نسيان التضحيات الأسطوريّة، التي قامت بها مجموعات إيثاريّة، في ساحات القتال، أو في الجبهات الخلفيّة؛ فبقيت في مواقعها، تلاقي مصيرها الاستشهاديّ؛ لتؤمّن حياة آخرين، أو قاومت الحصار المحكم في لؤمه بشجاعة وتكيّف وتحمّل بصور استثنائيّة! أو تلك التي تفانت لفكّ الحصار أو الأسر، أو الهيمنة على أناس ومناطق، أو لسحب جثّة شهيد، أو لحمل جريح، أو للعبور بمواطنين ضاقت بهم السبل؛ مع تحمّل كلّ التبعات الخطرة لهذا، وهناك من قضى بسببه. ولا يمكن التغافل عن توزيع النادر الذي تبقّى، أو وصل في ظروف حرجة، على الجميع بالتساوي؛ بل بتفضيل الآخر على النفس؛ وماذا نقول عن الذين اعتنوا برفاقهم، وبأرواح مذعورة، وسعوا لتطبيب المصابين، بما لديهم من مواد، وبما ليس لديهم من خبرات وأدوات وإمكانيّات؛ كما حرصوا على دفن من توفّاه الله منهم، في أماكن معروفة، وأقاموا عليهم الطقوس التي ارتأوها؛ في ضوء جهلهم لما يجب، وحرصهم على احترام الحال والمآل؛ فيما لم ينل سوى هؤلاء هذا التقدير.

ومن المدفونين والمطمورين من تمّت استعادة جثامينهم بعد سنين من التغييب القسريّ تحت سطح الأرض.

وماذا نقول عن حجم الكثافة السكّانيّة في مناطق عديدة، بعدما التجأ إليها مواطنون من مناطق متفجّرة، وتقاسموا مع سكّانها اللقمة والجام وحبّة الدواء، ونسمة الهواء، والخبر السعيد، والأمل المقيم؟!

وماذا عن تحمّل الارتفاع الجنونيّ للكلف، والانخفاض القياسيّ في الشحّ، وصعوبة تأمين الحاجات، وعسر التنقّل، وضعف إمكانيّة ممارسة الحياة بشكل أفضل في الحدّ الأدنى؟!

ومن المتفهّم أنّ الملمّات تجوهر القلوب الأصيلة، وتُزْكي النفوس الكبيرة، وتعطّر الأنفاس والروابي والكائنات، وقد تُظهر جهالةُ الجاهلين، وحماقة الغافلين، وغشومة الأشقياء، ونهم الضعاف، وأنانيّة الطامعين؛ فيزدادون دناءة ونذالة، ويتفاخرون بما نهبوه، من أفوه ضحاياهم، أو جيوبهم، أو دورهم، وهم ينظرون بلا حول، أو لا يحسّون بلا حياة؛ وحوّلوه بنيات قاتمة، وبانشغال الحماة والمتابعين الشرفاء المخلصين المضحّين ذوي النفوس العزيزة، إلى مصادر منتنة للتحصيل والإثراء، التي فرّخت خلال وقت لا كالأوقات، إلى أوكار وأوجار، ومحلّات وعمائر ووكالات مستحدثة، ينظر إليها التعبون المعذّبون بمرارة وحسرة؛ حيث تبقى الأضواء المستفزّة فيها وحولها مشعشعة؛ لأنّ دواخل شاغليها معتمة، وآفاقهم مكسورة، وقلوبهم ميّتة، ولأتباعهم سلوكات مريضة، وهيمنات مؤذية على الموارد الشحيحة للغالبيّة المحتاجة؛ ومنهم من يتصدّق بالفتات، ويتشدّق بالأعطيات، من دون أن يَسأل أو يُسأل: من أين لك هذا؟!

فيما سواهم لا يستطيعون إسكات قرقرة، ولا الهجس بملامح هدهدة!

ولكن.. من قال بأنّ الأمثال غير الحسنة لتلك، والفاغرة لهؤلاء الصابرين، لم يكونوا قبل الحرب، وأنّ هذه السلالات الانتهازيّة، لم ينتشوا على دمن الرخاء، أو الفساد، الذي كان قبل العدوان؟! ومن قال بأنّ السوس لا يعشّش منذ تلك الأوقات في الجسد، وأنّ العطب لا يقيم في بعض الروح؟! فلولا هذا، ما كانت الثغرات، التي نفذ منها المعتدون، وما كانت البؤر، التي تكاثرت فيها الجراثيم، وما كانت البيئات، التي تركت الأيدي الآثمة، تعيث في الكائنات والموائل نخراً، وتهشيماً، وتصديعاً.

وللحقّ أقول، ما أومن به، وكتبته منذ سنوات، بأنّ الوعي الشعبيّ العام، هو الذي حمى البلد، والكائنات المثقّفة، هي التي حصّنت، وتحصّنت؛ والأمر لا يتعلّق بشهادة عليا، أو عقيدة بعينها، أو انتماء مشار إليه؛ بل إنّ الأمر يتّصل بقيم، ما تزال قائمة، وخصال ما انفكّت أصيلة، وطباع ما برحت طيّبة؛ هذا ما يفترض أن نركّز عليه، ونستظهره، ومن دونه، لم تكن لتبقى مؤسّسات، ولتسلم شرايين، ولتظلّ قلوب تلهج بالأمل والشكر للإنسان فينا، وما كانت لتكتظّ بيئات داخليّة، بمن جاءها مهجّراً، ويعيشون معاً بسلام وأمان، بما توفّر، ومن دون أدنى مشكلات وأقلّ حساسيّات؛ على الرغم من أنّ بعض شبابهم ورجالهم يخوضون مواجهات متنقّلة في مواقع متقدّمة ومتنقّلة! ولولا ذلك، لما برع مهجّرون ومهاجرون إلى الخارج في أعمالهم، وكفاحهم، وحافظوا على انتماءاتهم وخصائصهم الحيويّة الإيجابيّة وجدّيتهم، ورموا جانباً، في أكثريّتهم الساحقة بالأثقال المتوارثة والأعباء المستجدّة، التي كانت لديهم، وعاشوا معاً، ومع الشعوب التي حلّوا بينها، بأكبر قدر من الإخلاص والتفاني؛ وقد برز منهم كثيرون وتميّزوا، واخترعوا وبحثوا وحصلوا على ألقاب وشهادات، وظهرت لديهم مواهب وإمكانيّات، انشغلوا بها وبتنميتها عن موبقات وأفكار ظلاميّة كانت، ويمكن أن تكون. ولم تكن مجتمعاتنا خلواً من الحساسيّات، ولن تكون.. لكنّ من الواجب إهمالها، والتخلّص من انعكاساتها المسيئة للنفس قبل الآخرين. وربّما لو حوسب الجاني قولاً وفعلاً، أو يحاسب في حينه، لتطهّرنا من كثير من السوءات، وتعالينا درجات أكثر في سلّم الفضائل، ولما تجرّأ كثيرون، في الماضي، وحالياً أكثر، على التباهي بمعايبه.

وللحقّ أيضاً، فإنّ ما يحدث من تجاوزات، وما يشاع من أفكار، وما يثار من حساسيّات، تبقى في حدود التوقّع لمثل هذه الأوقات والظروف، وتمكن السيطرة عليه؛ إذا ما صدقت النيات، وسلمت الإجراءات، من دون الاكتفاء بالسكوت عنه، أو إدارته عن قرب أو بعد، أو ابتزاز أصحابه، واستغلاله، وتعويمه. إنّ الأخطر في كلّ هذا، أن يصبح التجاوز عادة، والفساد مألوفاً، وأن تبقى للنافذين بغير وجه حقّ، محميّاتهم، التي لا يأتيها القانون من أيّة جهة، وأن يرضى المعوزون بما يرمى إليهم، وأن يقنطوا من إمكانيّة تغيّر الحال، وأن يقتنعوا بأنّ الحال قدريّة، وهي بلوى من الله، يكتفون بالدعاء أن ترفع عنهم؛ لأنّهم مذنبون؛ وقد يستحقّون!

ولا بدّ من تأكيد أنّ التحوّلات غير الطبيعيّة، تشمل العالم، والأفكار والسلوكات غير المألوفة باتت تنتقل بتسارع مذهل بين الشرائح والشعوب؛ متجاوزة الانتماءات الأسرويّة والمؤسّسيّة والوطنيّة والعقائديّة المختلفة؛ والتحصين مطلوب والمواجهة قائمة ومستمرّة ومتشارسة.

ويجب ألّا ننسى أنّ من الكبائر أن نشارك في الإثم، وندّعي مقاومته، وأن نتحدّث عن أخطاء الآخرين، ونتغافل عن خطايانا! وأن (نستفيد) من الفساد، ونسوّغه.

إنّ من الأخطاء القاتلة، ألّا نتعلّم من الدروس الشاقّة المؤلمة، التي خضعنا لها، ومن التحدّيات التي واجهناها، وأن نعود إلى المجاري ذاتها، والجهات عينها، والدروب الضيّقة بعتمتها وعفونتها، والسوائل التي ثبت تلوّثها وتسميمها، فنحاول التطهّر بها، والتبرّك بطقوسها وأقوالها؛ متناسين، أو متجاهلين أنّ علينا العمل الأسرع، بثقافة أسمى، وبفكر منفتح، وبأيد أنظف، وبغايات أنصع، لفضاءات أرحب، ولأوقات أجمل، ولعلاقات أوثق، ولظروف أفضل، ولمستقبل أنضج!

إنقاذ القيم الثقافية والتربوية وإعادة إنعاشها

خلود حكمت شحادة

سنوات مرت على بلدنا من صراعات وحروب دمرت البشر والحجر واليوم نعود من جديد إلى حياتنا وأمننا وأماننا، ولكن أثراً ما وندوباً بقيت هنا وهناك.. جروح نفسية واجتماعية أثرت في الكثيرين وخلّفت معاناة ونقاط ضعف اجتماعية وتربوية علينا معالجتها لنتمكن من بناء جيل جديد خرج من حرب أراد داعميها تدمير أجيال سورية وحضارة أبجديتها.

كنا مضطرين جميعًا أن نشهد هذه الصراعات والحروب لذلك فإن اهتمامنا الأول يجب أن يكون بالعمل على تخفيف المعاناة الناجمة عنها وهذا يحدث عند إدراكنا لأهمية احترام الأخلاق.

الانتهاكات الإنسانية التي تصاحب الصراعات تدفعنا للتساؤل عن معنى الغياب شبه التام للقيم الثقافية والتربوية ؟ ولماذا تختفي ؟ أين ذهبت آراء وأفكار رواد المدرسة «الأخلاقية» سقراط وأفلاطون وأرسطو وتوما الأكويني والكثير غيرهم ممن أجمعوا على ضرورة وجود أخلاق فاضلة في زمن الحروب يلزم اتباعها مؤكدين أن الخلق الفاضل يشكل الإنسان الصالح كما أنه ضروري لازدهارنا كبشر نعيش في مجتمع واحد.

فما قرره الفيلسوف جان جاك روسو في كتابه الشهير «العقد الاجتماعي» من أن الحرب علاقة بين الدول لا بين البشر، فالعداء للجنود لا للإنسان، وأنه بمجرد أن يلقي الجندي سلاحه ويستسلم يعود بشراً لا يحق لأي كائن الاعتداء على حياته.

طرحنا تساؤلاً على مختصين ودارسين لعلوم الاجتماع والتربية عن تحولات القيم الثقافية والتربوية في المجتمع السوري ودور الحرب في ذلك ...كيف نستعيد هذه القيم؟

كان للدكتور ماهر الآغا من كلية التربية توضيح لتلك الإشكالية حيث قال: من الطبيعي عندما تنشأ الحروب تنهار المنظومة الأخلاقية عند معظم الشعوب لما للحرب من آثار سلبية لذلك يجب العمل على إعادة تربية النشىء ضمن مؤسسات كالطلائع والشبيبة وإعادة تفعيل دور هذه المؤسسات وإعادة دور المربي للمعلم وتأهيله لأداء هذا الدور بشكل صحيح.

مؤكداً وجهة نظره في إعادة دروس التربية الرياضية والعسكرية للمدارس بشكل حقيقي وفعال، وعلينا ألا نعمل على إرشاد وتوجيه الأمهات صغيرات السن على طرائق التربية وبناء القدوة.

وختاماً قال الآغا. هناك الكثير من الطرائق منها الجيد ومنها الجيد جداً ومنها الممتاز والفعال لكن تحتاج إرادة قوية وجهة تنفيذ ملزمة.

من قسم علم الاجتماع مجموعة من أشخاص ثلاثة من طلاب الدراسات العليا كانت آراؤهم متشابهة عند توجيه السؤال لهم بأن عادات المجتمع ثابتة وفي كثير من الأحيان تكون كالقوانين صارمة ولكن ظروف الحرب تنخر فيها وتؤثر سلباً ولكنها لا تسبب تغييراً جذرياً لذلك يمكن اعتبارها رياحاً تمر وتترك أثراً يمكن تصحيحه بزوال السبب، واليوم وبعد انتهاء الحرب وعودة الحياة من جديد يمكننا إعادة تأهيل ما دمرته الحرب اجتماعياً وتربوياً بالتركيز على تربية الأطفال في المنزل ومتابعة هذا الدور في المدارس ولا ننسى دور الإعلام المهم في عملية ترميم القيم الاجتماعية والسلوكية والتربوية.

وتر الكلام

مرحلة تحديثات... أو انتهى الأمر...؟

سعاد زاهر

لماذا يضعها البعض في ركن الاحتمالات...؟

أليست ضرورة، أن ندرك أسمى القيم الجمالية...؟

هل يبدو رأينا ونحن نقترب من الحياة بمفهومها القيمي، عبثياً...؟

كوننا نخرج من حرب كارثية...

حرب بالتأكيد اقتربت من الحالة القيمية بمفهومها الأوسع والأشمل، وجعلتها تنزاح بحكم التغير المجتمعي، والفكري، والأخلاقي .... الذي طال مختلف البنى المعمارية والبشرية، باعتبار التزاحم البشري الذي نعيشه في بعض الأمكنة أيضاً يودي بنا إلى متغيرات جديدة...

التغييرات تطال البشر، بمختلف تشكلاتهم الفكرية، ومن ثم السلوكية، وصولاً إلى المعيشية، وحينها يبدو الخاطئ على صواب، والعكس صحيح... وحين يكثر الخاطئون تنزاح القيم، ونبتعد عن مفاهيم لطالما سببت السعادة الجمعية.

مفاهيم الحق ونشر الجمال، نحن هنا لا نتحدث عن أذواق الناس أو خياراتهم من أجل تقييدها، بل نتحدث عن المفهوم القيمي، عن قيم الخير التي تعمر البلدان وتبني الحضارات ويعود ريعها لصالح الجميع...

ولكن ألا نشعر في لحظة، أن كل ما حولنا قد يتبنى العكس...؟

هل نعيش في أزمة إنسانية، هل هي أسوأ اللحظات البشرية...؟

وما الأسباب...؟

هل نحن في مرحلة مخاض بعد كل هذه التحديثات التي نحياها، أم إن الانقلاب تم وانتهى الأمر...؟

لا شك أن النزوع نحو الأنا، والغوص فيها حد الوجع، نتيجة لكل هذا العجز الحياتي الذي نعيشه يسهل الانزياح القيمي، وما كل هذا الخراب والتشويه والتزييف إلا نتيجة الصد الذي تلقاه تلك القيم عند البشر.

ربما ينفعنا في هذا المنحى.. الاشتغال على بناء الشخصية السوية، اعتناق مفاهيم التنمية الذاتية والعامة، ولطالما كان الانسان ابن بيئته فحين تعلي هذه البيئة من القيم الخيرة، حتما سيسير الناس في اتجاهها.

يا للسعادة أن أكون معك!

مها محفوض محمد

العالم المملوء توحشاً وقسوة وحروباً، والمزيد من العنف الذي لايتوقف هل غادر الحب إلى غير رجعة ؟ ولماذا لم نعد نقرأ كتباً عن الحب والعاطفة الانسانية العامة هل توقف القلب الإنساني ومل المبدعون ذلك؟

لا نظن أن الأمر كذلك لكنها موجة طغيان المادي على الإنساني موجة عابرة ستزول مهما طال زمنها، صحيح أنها اخذتنا إلى غربة موحشة لكن الصحيح أنها جعلتنا نفتش عما ينقصنا من قيم المحبة والسعادة التي تبلسم كل الجراح وهنا نطرح السؤال القديم الجديد.

هل ثمة توافق بين العقل والقلب أم إن أحدهما ينأى عن الآخر؟

مع أن عصر الصناعة منح العقل قيمة أكبر واستبعد القلب لمصلحة العقل، ورغم دخول مصطلح «الحب العقلاني» مختلف التسميات وتضارب المفاهيم حول الحب يبقى من يؤكد أنه لايمكن فصل العقل عن القلب وأن الشعوب على مر العصور فلسفت الحب وكلّ كان له تجربته.

لايزال الحب يشغل المؤلفين الذين تناول عدد منهم مؤخراً معنى الحب وعلاقة الفلاسفة بالحب فصدرت عدة مؤلفات في هذا الصدد.

كتابان يعالجان بشكل واسع قضية الحب بكل أبعادها لمؤلفين يعتنقان البوذية وهما: فابريس ميدال مؤلف كتاب «إذا كنا لا نعرف شيئاً عن الحب» وفيه يثير مفاهيم الحب التي جعلت منه قضية عواطف ومشاعر والكاتب ميدال كقارئ للشاعرة سافو (شاعرة يونانية كتبت عن الحب وانتحرت) يدافع عن الرؤية الصوفية والغريزية للحب وبرأيه إن نبع الحب موجود في أعماقنا، نبع يوقظه جمال وجه جمال جسد.. جمال مشهد أو أغنية ما.

والفيلسوف الآخر جوزيف بيير المسيحي المعتقد يطرح قضية الحب التي تلتقي مع فابريس ميدال رغم أن رؤيتهما تتباعد في نقاط أخرى ويقول: ألا يوجد جوهر مشترك لحالات الحب المتعددة؟ وماذا يعني أن نستخدم الكلمة ذاتها للدلالة على أشياء مختلفة كالحب الغريزي وحب الأمومة

وحب الصداقة والأخوة وحب الموسيقا وحب الخمر.

ذاك الذي يعتبره أحد أساتذة الفلسفة الذين يمتدحون الإلهة ايروس رمز الإثارة والذي يعبر عن وجوه الحب ويقول: يبدو العطف دون إثارة حب جاف والجنس شيئاً فظاً.

أما كتاب «ثورة الحب» لمؤلفه لوك فيري فقد أثار ضجة أيضاً وفيه يدعي المؤلف أن الحب الذي نشعر به تجاه الزوجة والأولاد سيفيض إلى الدائرة الاجتماعية المحيطة.

وبعد قراءة التاريخ الغربي بمنظور الحب يؤكد الكاتب أن المشاعر والانفعالات الناتجة عن الحب أصبحت الصور الجديدة لقداسة الحياة ومعانيها وسوف تبدل رؤيتنا للإنسانية.

يقول: سأعلن لكم عن جديد في المجتمع الأوروبي إذ لن يوجد من الآن فصاعداً من يريد الموت من أجل الوطن أو الثورة، فالأشخاص المستعدون للتضحية بأنفسهم هم أولئك الذين يريدون الموت لأجل من يحبون.

أما باسكال بروكنير فهو أقل تفاؤلاً ويرى أننا نعطي الحب أكثر مما يستحق، يقول في كتابه «هل فشل زواج الحب»، لقد صنعنا من الحب إلهاً جديداً وأصبحنا جاهزين للتضحية بالغالي والنفيس من أجله، بالزوج والأولاد والأصدقاء، ويستنكر هذا التعصب للحب الذي يقودنا إلى الولع بحالة الحب أكثر من الأشخاص ذاتهم.

كتب متنوعة لاينقصها التشويق على أنها تثير في الغالب عدم ارتياح في الحديث عن الحب لأننا لانعرف عما نتكلم، ولفرط مايطرحون ذلك كتجربة مشتركة للمجتمعات ينمو لدينا الشعور بأن هناك فلسفة ما ولا نجرؤ على الذهاب في آفاقها وكأنها رفضت أن تطرح السؤال الأخير حول معنى الوجود، فهل علينا أن ندعو إلى إشراك العقل في الحب أو إخضاع الحب للعقل.. هذا ما ننتظره من الفلاسفة الذين يتوجب عليهم إعادة النظام لهذا المصطلح الذي نحمله كل شيء، كماعليهم إخراجه من استخداماته غير الصحيحة وتمييز مختلف صوره.

بهذا الشرط فقط نستطيع أن نفكر ماذا يمكن أن نفعل بالحب عندما يدق بابنا.

إن الكلام عن الحب يفتح الباب لأسئلة متنوعة أخرى أكثر اتساعاً وشمولية.

هذا ماطرحه الفيلسوف الألماني جوزيف بيبر (١٩٠٤-١٩٩٧) في كتابه «حول الحب» وهوكتاب رائع صدر عام ١٩٧٢، لكنه لم يصدر بالفرنسية إلا العام الماضي، وفيه يذكرنا الكاتب ب «مأدبة أفلاطون» والنقاش الذي تم خلالها عن الحب حيث اعتبر الكاتب أن اهتمام الفلسفة بالحب بدأ حينها بعد أن كانت المسألة مسألة بيولوجية ونفسية واجتماعية حين كان ينهض أحدهم ليعلن أنه لايفهم شيئاً من أمر الحب إلا إذا فكر بالطبيعة الإنسانية.

كتاب آخر بعنوان: «عظيم أن تكون أمامي ويا للسعادة أن أكون معك».

أما المؤرخ لوسيان جيرفانيون الذي عبّر عن حزنه لتشويه صورة الحب فيقول: ليس هناك حب حقيقي إلا حين يلتقي شخصان ويكتشف أحدهما الآخر ويجد أن هذا الآخر صورة عن ذاته حتى الخلود، وبدءاً من هذه اللحظة لانعد أحراراً بذواتنا كما أن الحب يجعلنا نخشى الموت في كل لحظة.

بالمحبة الشاملة تتعافى المجتمعات والمحبة هي أنبل القيم التي لم تغادرنا في سورية وسوف تبقى موجودة، السعادة أن نكون معاً يداً بيد وكفاً بكف نعمل معاً من أجل وطن افتديناه معاً.

التحديات المحيطة بالمجتمع والإنسان

أ. د. أمل حمدي دكاك

نظراً للتحولات والتغيرات التي طرأت على القيم الثقافية والفكرية والتربوية والمجتمعية في سورية وتداعيات آثار الحرب العدوانية على ذلك.

نجد أنّ القيم الاجتماعية تعد بمثابة الركيزة الأساسية التي تقوم عليها البنى الاجتماعية التقليدية منها والحديثة والمعاصرة ولا يمكن تصور أية بنية اجتماعية في الماضي ولا في الحاضر ولا في المستقبل دون منظومة قيم تحدد أوجه العلاقة بين الأفراد والجماعات.

وتحدد أوجه العلاقة بين الحقوق والواجبات المترتبة على الفرد أو الجماعة في أي موقف اجتماعي يتطلب استجابة ما، ذلك أن استجابة الفرد أو الجماعة لأي تحد من التحديات المحيطة بالمجتمع وبالإنسان مرتبطة بمنظومة القيم المستقرة في وعيه.

فالأسرة مثلاً في ظل انحلال القيم تصبح مشتتة وغير قادرة على التفاهم مع أبنائها فالأسرة هي المؤسسة الأولى للتنشئة الاجتماعية والثقافية والسياسية للأبناء.

وكذلك يتضاءل دور المعلم في المدرسة والجامعة.

وفي ظل عولمة تهيمن تكنولوجياً وإعلامياً من خلال وسائلها على الجيل الجديد وتعمل على محو الثقافة والهوية وفي ظل تباين في مستوى المعيشة حيث يتمتع بعض أفراد المجتمع بمستويات معيشية مرتفعة بينما تعيش شرائح مجتمعية واسعة بحالة من الفقر.

فإن تداعيات انحلال القيم تمتد أيضاً إلى العلاقة بين هذه الشرائح التي تصبح مجردة من أية أبعاد أخلاقية وإنسانية وتصبح المنفعة بمعناها المحدد أكثر أهمية من الإنسان ذاته وعندما يلتقي الفقر وانحلال القيم تتسع مظاهر الجريمة بكل أنواعها وكذلك الانحراف.

إن الحرب الكونية الظالمة على أمنا سورية استهدفت بث الفوضى وتمكين ذوي النفوس الضعيفة وتعزيز المشاكل الاجتماعية من فقر وتشرد وتهجير وإحداث شرخ في النسيج الاجتماعي كل ذلك ترك آثاره من تداعيات الحرب ولكن بتعاون المجتمع السوري بأكمله وبكل شرائحه وبفضل من الله تجاوزنا هذه الحرب ونتطلع الآن إلى إعمار سورية وبنائها إنسانياً واجتماعياً وفكرياً وبناء ما تهدم على كافة الصعد من خلال تطبيق القانون وسيادته على الجميع ومعالجة المشكلات التي أفرزتها الحرب على سورية والتي تآمر العالم المادي ضمن مخططات مرسومة للقضاء على الحضارة والثقافة والهوية وكل المنجزات في بلدنا، فالأطماع الاستعمارية في بلادنا وفي غيرها من الدول أيضاً ليس له حدود عند هؤلاء الغزاة .

ولكن رغم هذه السنوات العجاف وأيام الحرب القاسية بقيت سورية صامدة وشامخة شموخ قاسيون .

زاوية حادة..

الإصابة بالوعي

غسان شمه

هل بات الحديث عن الوعي، أو الدعوة له، نوعاً من الأسى عند الإنسان المعاصر المصاب مسبقاً بسلسلة من الإحباطات التي يتسبب بها وعي الإنسان بالثمن الباهظ للوجود..؟

الأسى، وربما السخرية، قد يكونان، على طريق الإجابة..!

العلوم الحديثة كشفت أن الإنسان القديم كان «يتمتع» بامتلاك دماغ ذي حجم صغير لكن هذا الحجم ازداد اليوم كثيراً مع تدفق المعرفة والمعلومات، في مختلف المجالات، كنهر يتسع مجراه كلما تقدمنا في الزمن والكشف في حقول معرفية كثيرة..

بالتأكيد فإن ذلك كله من الإشارات الإيجابية في منحى مهم بالنسبة للبشرية والتاريخ الإنساني بوجه عام، لكن على صعيد مواز ذهب الكثير من الفلاسفة والأدباء والمفكرين إلى أن الوعي في جانب منه يثقل على روح الإنسان حتى إن الأديب الروسي الكبير دوستويفسكي يرى أن شدة الإدراك مرض.. ويذهب كافكا إلى ما هو أبعد: إذا كان هناك ما هو أشد من الإفراط في المخدرات فمن دون شك هو الإفراط في الوعي..

ومثل هذا الاتجاه ناشئ عن معاناة الإنسان صاحب المعرفة الذي التزم الإنسانية في معناها الواسع كما نرى في إشارة الفرنسي ألبير كامو بالغة الدلالة من أن لا شيء يعادل الظلم الذي أنزلوه بالإنسان..

إذاً هل يتخلى الإنسان عن سعيه نحو إدراك ووعي العالم بما ينطوي عليه من معرفة، قد تنوء في جانب منها، بما يثقل الروح أم نذهب جميعاً إلى تلك الصورة الشعرية التي تنطوي على حقيقة مؤلمة قالها المتنبي « ذو العقل يشقى في النعيم بعقله/ وأخو الجهالة في الشقاوة ينعم»..؟

ما رأيكم بدعوة مفتوحة إلى الضحك، ضحك من كل شيء .. وهل تستقيم الحياة إذا غرقنا في الضحك أم أنها قد تضحك منا وعلينا..؟.

ذاكرة

حين تعطب الثقافات .. تتبعثر الشعوب وتصبح ذرات هائمة

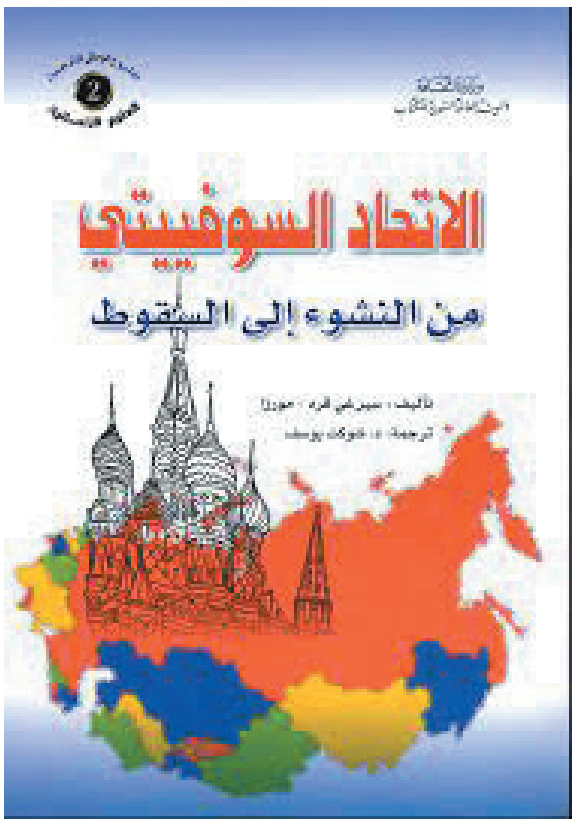

حين انهار الاتحاد السوفييتي، تصدع ركن من أركان القطبية العالمية، ليس في السياسة وحدها، لا، بل في كل شيء، الثقافة والاقتصاد والمعرفة والثقافة والتوجهات الكبرى، وكان لهذا الانهيار وقع كبير مازالت تبعاته تتوالى حتى الآن، ويمكن القول بكل بساطة: إن من لايقرأ ما يجري الآن من خلال حدثين مهمين جداً وقعا في القرن العشرين، لهو أعمى البصر والبصيرة، الأول: حرب تشرين التحريرية التي خاضتها سورية، جيشاً شعباً، أعد لها القائد المؤسس حافظ الأسد، والثاني انهيار، بل تفكيك الاتحاد السوفييتي.

الحدث الأول أعاد العرب إلى الواجهة، إذ ظهرت سورية قوة فاعلة، قادرة على الفعل والإنجاز .وكل ما توالى بعد ذلك، كان محاولات لكسرها، وبما يجري الآن، فالغرب لايريدنا خارج غطار قطيع الغنم الخليجي مستهلكين، نحمل دفاتر الشيكات ندفع، نتسوق، نعربد، نلهو، ونقاد إلى حتفنا كما الخراف، لا، بل أضل سبيلا، إذ إن الخراف يسمح لها أن تقاوم وهي تقاد إلى المسلخ، ونحن عفواً، أعرابنا وبرضى تام يمشون إلى حتوفهم.

أما الحدث الثاني (تفكيك الاتحاد السوفييتي وما كان من تصدعات عالمية مازالت لحد الآن لم ترمم، كان القائد المؤسس حافظ الأسد قد أشار إليه في خطاب له حينذاك، إذ قال بما معناه (إن ما يجري خطر جداً، ولسوف تستمر تداعياته لعقود من الزمن).

والآن بعد مضي ما يقارب ثلاثة عقود على الحدث ؟ كيف تبدو الحال ؟ ماذا جرى ولماذا، ومن المسؤول، هل رمم الصدع، ومن يفعل ذلك ؟ الباحثون الروس، قدموا قراءات نقدية وتحليلية، شخصوا المشكلة، وعرفوا الداء والدواء، ومن هؤلاء:سيرغي قره – مورزا. مؤلف كتاب: الاتحاد السوفييتي من النشوء إلى السقوط، الصادر حديثاً عن الهيئة العامة السورية للكتاب، ترجمه إلى العربية: د.شوكت يوسف.

في هذا الكتاب المهم جداً قراءات معمقة لما جرى، والباب أو المدخل الأساس كان هو الثقافة، نعم، بدأ العمل على تفكيك الاتحاد السوفييتي ثقافياً، وفكرياً، وكما هي الحال في الحرب التي نواجهها في سورية، البداية، المدخل الثقافة، الوعي، التربية، اختراق الإنسان السوري، ولهذا يستشهد المؤلف أيضاً بالحالة السورية في كتابه.

سيكون من الصعوبة بمكان أن نوجز الكثير مما قاله، لكن من المهم جداً الإشارة إلى الفصل المعنون بـ: تدمير الثقافة وكذلك تفكيك الشعب يقول: انزل الكذب ضربة قوية بالثقافة. كان مملوءاً بالكذب الخطاب الإيديولوجي للبريسترويكا حيث صورها شكلاً من التحول إلى دولة ديمقراطية والقانون، كان هذا كذباً ..ويضيف في مكان آخر قائلاً: الوسائل المستخدمة في ضرب الثقافة القديمة إجرامية في الغالب استبعدت من الفضاء الروحي لروسيا طبقات كاملة من الثقافة، بلوك، غوركي، وسطور كثيرة من إبداعات تولستوي وسيرغي يسنين، ومعظم الأغاني والأناشيد الثورية، هذا الاجتياح للوحة الثقافية الحاصل تحت شعارات الديمقراطية ضرب من خيانة الوطن.

إسقاط الشعب

في مكان آخر يرى الباحث أن إسقاط أي قوة مهما كانت كبيرة يبدأ بإسقاط الشعب، وذلك عن طريق خلق أقوام أخرى بديلة، مصطنعة (لاحظوا الحالة السورية، وما جرى من محاولات لفعل ذلك، واستقدام آلاف المرتزقة والكارثة الكبرى فيما تركه هؤلاء من لقطاء .....).

ويشير إلى خطأ المفكرين السوفييت والقيادات حين ظنوا أن الشعب لايضيع (أخطاؤنا أننا فكرنا أن الشعب لايضيع، هل فكرنا بالحفاظ عليه، وكأننا حصلنا على الشعب من الأسلاف كمعطى جاهز ولم نفكر أنه يحتاج كأي جهاز أو منظومة إلى الحماية والعناية به وصيانته، يبقى الشعب حياً ما دامت كل أجزائه .....سلطاته، تعمل باستمرار من أجل المحافظة عليه، وقد تطلب تدمير الاتحاد السوفييتي تدمير الشعب، لذا باتت بعثرة الشعب السبب الرئيس للأزمة، نعم حولوا الشعب إلى ذرات هائمة .....).

المفكرون الروس أعادوا قراءة الواقع ووضعوا الدواء، فهل نستفيد من القراءات، هل يقرأ من يعنيهم الأمر عندنا في التربية والثقافة والتعليم والإعلام هذا الكتاب، هل نبدأ بصون وعينا وثقافتنا، وكيف ..؟

وهـــم شعر: نينو سابانادزي

ترجمة: د.ثائر زين الدين

على شجيرة ورد سقط شعاع عشوائي،
مُخترقاً الغيوم للحظة.
تألّقَ برعمٌ واحمرّ خجلاً،
ثمّ قال متفاخِراً: «أنا المختار».
الورود الأخرى منحتهُ نظرةَ إعجاب
مبتهجةً بنجاحه.
لكن الشعاع اختفى خلف ثقل أسطول من الغيوم،
يبدو الأمر كما لو أنهم حفروا حفرة فيها.
لم تلاحظ الوردةُ ما تغيّر.
وهمست للأزهار المجاورة: «أنا المختارة».
ذبلت بهدوء، وتبدّلت الحال إلى الحزن،
وعلى مهلٍ حلّت حفلةٌ تنكريّة.

«أنا الأفضل، أنا قديسة»، ضجّت أوراقها.
لكن الورود الأخرى التي ولدت في الصباح
هزّت رؤوسها غير راضية ...
كان كلامها غبيّاً ويفتقرُ إلى الحكمة.
«أنا المختارة!» - اصفرارٌ باهت،
عطرٌ مفقود،
وانهارت على عشب هدوء الليل،
غير مدركةٍ خسارَتها.
«أنا الأفضل «- ردّدتْ آخرُ بتلةٍ في الوردة،
ودارت فجأةً، وطارت: أعلى، فأعلى، فأعلى ...
اختفت دون أن تتركَ أثراً في السماء الزرقاء،
وما عاد أحدٌ يسمع عبارة: «أنا المختار!»
منحت الشمس النور للورود
منحته بسخاء، دون أن تميّز فيما بينها.
ما من أحدٍ مختار في لحظة ما،
تلك كانت حادثة غريبة - حادثة بسيطة.
ذكريـات
مُستنداً براحةِ يدكَ على الزجاج،
حدّقتَ في الخريفِ القاتم.
التمعَ الجليدُ على إبر الصنوبر
وتساقط الثلجُ ... ما الذي جذبك في هذا الليل؟
ليل، حاولتَ أن تقرأ حياتك
على طول خطوط يدك علّك تفهم قلقك ...
آه أيتها السماء، يحدثُ أن تكوني قاسيةً؛
تدميرين كلّ شيءٍ على طول ضفاف النهر.
ودون أن تترك جسوراً مع الماضي
تُسرعُ لتنسى أو تتناسى ...
ويمر يوم فإذا بك تحلم مرة أخرى
بتلك المحادثة ذات الكلمات الفظيعة.
بالدموع لن تمسح الأثر من راحة يدك.
(ذات مرة كانت تمسك بكفٍ آخر)،
لكنك تقولُ باستخفاف،
وأنت تفتحُ أصابعك بقسوة: «لا حبّ في الدنيا!»
مُستنداً براحةِ يدكَ على الزجاج،
لماذا تُحدّقُ في الخريف القاتم؟
لقد كنتَ محبوباً ... الثلج يغطي الطرق،
ويعصفُ بخفّة: كلّ شيء أبيض - أبيض ...
والذاكرة تنظرُ في النافذة الشتويّة.
(.....)
الروح في «محيط سامسارا»
تغرقُ في عواصف التجارب ...
أهو قدرٌ لدودٌ أم سحرُ
معاناة الكارما الأبديّة؟
والوقت - من حولنا - أصبح دائرة،
لا يعرف ذروة السلام.
والنفوسُ تعاني من المرض
فكن في صراعٍ مع نفسك.
تدورُ عقاربُ الوقت
أسرعَ، فأسرع، فأسرع
ويتراءى أنه أصبحَ أكثر إشراقاً.
وتتسارعُ الروحُ «سنجاباً» ...
داخل عجلة - «حتى تسقط» -
تسعى جاهدة إلى قمة السلام ...
وما ذلك النور إلّا مجرد مكافأة،
ونور الحد مقفل.
تستلقي الأخطاء - ذنوب الحِملِ الأبدي -
ثقيلةً وكبيرةً جداً
على الأكتاف كعبءٍ لا يُحتمل:
لذلك، فالعالم ليس حراً.
الروح في «محيط سامسارا»
تطفو، لتغدوَ «شاة على المذبح».
أهو قدرٌ لدودٌ أم سحرٌ
أم الغفران من خلال المعاناة؟

حلـــم.
سقط الليلُ على أكتاف السمّورات.
يومض ضوء النجوم البعيدة بحرارة.
مسار النهر يعدو عبر الحدائق،
وشجيرة الورود تتقوّسُ، كالجسر.
تتراءى البراعم تحت ضوء القمر
مثلَ كؤوسٍ من الضوءِ في الليل
تبيضُ أعمدة القصر النحيلة،
نار في النافذة من جراء لهب شمعة.
حلم رائع أنتظر فيه لقاءً:
حفيفُ حريرٍ وهسهسةُ أوراق.
رغباتٌ سريّةٌ في قسمات الليل...
والقمر يُلامس الزهور بحنوٍ شديد.
يفرشُ الليلُ الدربَ بضياء القمر.
تحفحِفُ الرمالُ وتلتمعُ ذَهباً.
وأنا في هذه الساعة آملُ أن ألقى الجواب...
لا أعتقد أن الأمل مجرّدُ دخان فحسب.
إيقاعُ غيتار ... أنغامُ أوتار ...
لحنٌ يقترب أكثر فأكثر.
أضواء فوانيس مثل أقمارٍ سحريّة؛
لكأنّها الحراس في مصيري الآن.
لقد غنّيتَ عن الرقّة والانفصال.
هدأ الخليج، وسُمعت الأنغام كلها.
وأرهقَ القلبَ عذابٌ حلوٌ، حلو،
ففتحَ الأقفالَ وشرّعَ الأبواب.
لكن الحُلمَ اختفى، وانهمرت أحلامُ الشمسِ
على سريري ضياءً.
وفاحت الورود المَقطوفَةُ برائحة الحب:
الرؤى السحريّة، تلك التي كانت تُشعُ في الحياة

انتحار المبدعين.. شجاعة أم يأس وخيبة ؟

سهيلة إسماعيل

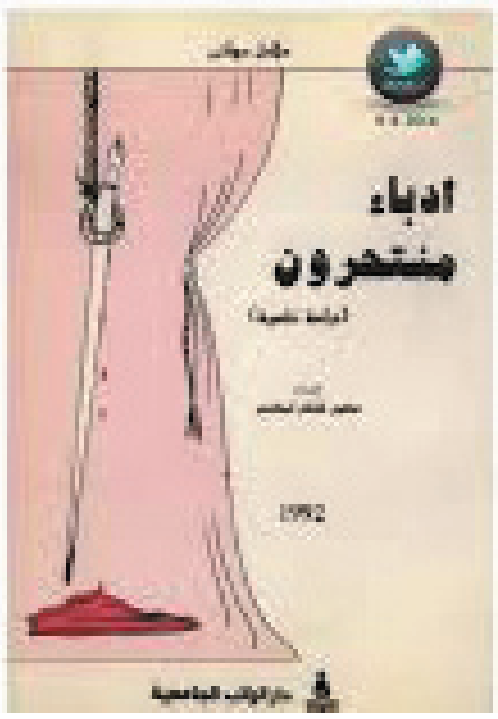

لماذا ينتحر الأدباء والشعراء ؟ وهل انتحارهم يحمل جرأة لا يتحلى بها غيرهم ؟ أو هل هو يأس مطلق أفضى بهم إلى وضع حد لحياتهم ؟ أو أنهم يقبلون إلى الموت لأنه الحقيقة الوحيدة في الحياة وهرباً من كذبتها اللذيذة؟

أسئلة كثيرة تبادر إلى الذهن حين نعلم أن عدد المنتحرين من الأدباء والشعراء بالعشرات على مستوى العالم، ولكل منهم فلسفته الخاصة باختيار طريقة الانتحار وبالأسباب الموجبة له حسب الرسائل المتروكة من قبلهم قبيل انتحارهم، وكأنه طقس كطقس الكتابة والإبداع لديهم. أو بمعنى آخر كأنهم فقدوا أسباب الحياة فكان الانتحار خياراً لا بد منه. وربما اكتشفوا أن عذاب وألم الحياة متفوق على جمالها ومتعتها، وقد يكون السبب الجوهري والعميق للانتحار رهافة الإحساس الموجودة لديهم ورومانسيتهم الفائقة، يقابلها جرأة وشجاعة ليست موجودة عند الآخرين تولدت من لحظات ضعف مروا بها، أو لعجزهم عن الإجابة – من خلال إبداعاتهم – على الأسئلة الوجودية. فهم يرون ما لا يراه الآخرون، ويكابدون الألم واليأس بطريقة مختلفة عن الناس العاديين. بدليل أن أغلب الأدباء والشعراء ممن أنهوا حياتهم بالانتحار كانوا مصابين بالاكتئاب الشديد سواء أكان سببه شخصياً أم عاماً يتعلق بالمجتمع وما يسببه من خيبات للمبدعين..!! وقد تكون الحروب وويلاتها سبباً للانتحار كما حصل مع الشاعر خليل حاوي بعد اجتياح الكيان الإسرائيلي للبنان عام ١٩٨٢ وانتحار فرجينيا وولف بعد الحرب العالمية الثانية وتدمير منزلها في لندن ما جعلها عاجزة عن الكتابة.

حيث أشارت دراسة أجرتها باحثة أميركية عن طريق تحليل قصائد لشعراء منتحرين على جهاز الحاسوب إلى وجود دلائل على أن هؤلاء الشعراء سينهون حياتهم بهذه الطريقة مقارنة مع قصائد لشعراء ما زالوا على قيد الحياة، فالمنتحرون من الشعراء يستخدمون كلمة «أنا» في كتاباتهم، وتنمُّ كتاباتهم عن تشاؤم تغلغل في نفوسهم ورفض كبير للواقع وقوانينه الظالمة في معظم الأحيان.

رسائل المنتحرين

كتبت الأديبة الإنكليزية فرجينيا وولف رسالة قبل انتحارها ووجهتها لزوجها: «عزيزي، أنا على يقين بأنني سأجن، ولا أظن بأننا قادرون على الخوض في تلك الأوقات الرهيبة مرة أخرى، كما لا أظن بأنني سأتعافى هذه المرة، لقد بدأت أسمع أصواتًا وفقدت قدرتي على التركيز، لذا سأفعل ما أراه مناسباً، لقد أشعرتني بسعادة عظيمة ولا أظن أن أي أحد قد شعر بسعادة غامرة كما شعرنا نحن الاثنين سوياً إلى أن حل بي هذا المرض الفظيع، لست قادرة على المقاومة بعد الآن وأعلم أنني أفسد حياتك ومن دوني ستحظى بحياة أفضل، أنا متأكدة من ذلك، أترى؟ لا أستطيع حتى أن أكتب هذه الرسالة بشكل جيد، لا أستطيع أن أقرأ، جُل ما أريد قوله هو أنني أدين لك بسعادتي، لقد كنت جيداً لي وصبوراً عليّ، والجميع يعلم ذلك، لو كان بإمكان أحد ما أن ينقذني فسيكون ذلك أنت، فقدت كل شيء عدا يقيني بأنك شخص جيد، لا أستطيع المضي في تخريب حياتك ولا أظن أن أحدًا شعر بالسعادة كما شعرنا بها»

بينما ترك الشاعر المصري منير رمزي قصيدة نثرية بعنوان آلام وأحلام: « أنا ما أنا؟ لا شيء
مخلوقٌ تتجاذبهُ الأحزانُ وترتطمُ على صخرِ قلبهِ آلامٌ وأحلامٌ
إنني أفنى أفنى فناءً عنيفًا هادئًا»

كما ترك الأديب المصري أحمد العاصي صاحب ديوان المعاصي رسالة قصيرة كتب فيها: «جبان من يكره الموت، جبان من لا يرحب بذلك الملاك الطاهر، إنني أستعذب الموت، وهو لي كالعطر»

وكتب الأديب الكوبي رينالدو ريناس بعد هربه من بلده إلى الولايات المتحدة الأميركية ثم انتحاره رسالة اعتبر فيها أن حريته ستبدأ عند انتحاره : «لقد أنهيتُ حياتي لأنني لا استطيع المشاركة في سبيل كوبا، أرجو أن تصير حرة في يوم من الأيام، وعزائي أنني شاركت بدوري المتواضع في سبيل هذه الحرية، رسالتي ليست من أجل الهزيمة، بل من أجل الهدف والنضال، كوبا ستكون حرة، وكذلك أنا»

بينما وجه الشاعر الروسي فلاديمير ما يكوفسكي نصيحة بألا يلجأ أحد للانتحار «إلى الجميع، لا
هموا أحدًا في موتي، إلى أمي وإخوتي ورفاقي، ليس ما أفعله الآن هو الصحيح، ولا أنصح أحدًا به، لكن لم يعد لي مخرج، حظًا سعيدًا للجميع».

أما الكاتب التونسي نضال غريبي فترك رسالة مؤثرة جاء فيها:

أنا الآن لا شيء، تفصلني خطوة عن اللاشيء، أو فلنقل قفزة، غريب أمر الموت ما أبخس ثمنه، دينار ونصف الدينار ثمن الحبل، وبعض السجائر، غريب أمر الحقيقة ما أبخسها ثمنها لكننا لا نرى، نملئ أبصارنا وبصائرنا دومًا بالأوهام، حتى تصير الحقيقة تفاصيل لا نراها .. نحن لا نرى غير ما نريد رؤيته، لا نرى من الأخضر غير يابسه حتّى تختلط علينا الألوان، ومفاهيمها، شأننا شأن أحبّتي، الذين رغم تواضعي يظنّون أنّني عيسى، فإذا ما صدّقوا ما ادّعوا، اختلط عليهم الأمر، فراحوا لا يفرقون بين القلب والمعصم، وصارت أوتادهم تنهمل على صدري كسهام الوغى ..

غريب أمرهم، بل غريب أمركم جميعًا إذ تظنُّون بموتي أنّني أناني، لكنني في الحقيقة أبعد ما يمكن عن الأنانية، دققوا في التفاصيل، لو كنت كما تدّعون لكنت التهمت ما استطعت من أدوية أمي المريضة ورحلت، لكنني أعلم علم اليقين أنّ عائلتي المسكينة ستنصرف إلى مراسم دفني وقبول التعازي، وسينسون بالتأكيد أن يشتروا لها دواء بدل الذي دفن في معدتي»

أدباء من أجل العروبة.. في القمة الثقافية المنشودة

أحمد علي هلال

ما معنى أن تأتي لدمشق في هذه اللحظة وفود عربية من اتحادات وروابط وجمعيات الكتاب العرب، بألوان طيفهم الإبداعي وتحت عنوان كبير هو (أدباء من أجل العروبة) ليتداولوا دور الأدب المقاوم في الحفاظ على الهوية العربية، كما الدولة الوطنية وتحديات الإرهاب، وانتقالاً لمهرجان للشعر العربي، هي معطيات قمة لكنها قمة ثقافية بامتياز لحراس الذاكرة الثقافية وسدنتها من المثقفين العرب، وهي القمة الأبقى من سواها من قمم عربية منقوصة وحائرة، إذ إن المثقف العربي يتقدم الدور الآن ويأتي ليبارك انتصار سورية بالكلمة طلقة الوعي وبالموقف بيان الوجدان العربي، دمشق واسطة العقد في أفعال الثقافة والحياة، هي أكثر من ترجمة لأفعال العشق في زمن مختلف تتغير فيه الخرائط، لكن خريطة المعنى هي في قلب دمشق الناهضة من الرماد، هي النسغ الحي في شجرة الأمة التي تتقاذفها الرياح، أتوا ليباركوا للجذور امتدادها وتجذرها ولتكون الرسالة الكلمة نشيد البقاء.. نشيد الحياة ابداعاً وفكراً وحوارات تحرر المعنى في ثقافة عربية واحدة موحدة تعيد البهاء للأرواح المتعبة.

ففي دمشق راية ونشيد وأرواح عالية ، وحروف يتلوها الأشقاء لتلون أثير الحكايات الدمشقية بقصة عشق عربية، ستأتي محكياتها في القادم من الذاكرة، وكيف أصبحت اللحظة محراب صلوات الأرواح والقلوب واللغة، هي ذاكرة للمستقبل ستعني بناة الأرواح -المثقفون- المؤتمنون على الوعي بناءً واجتراحاً، لتقول دمشق أهلاً وإني لأبسط يدي مضمخة بما يكفي من الياسمين، لتبوحوا بنبض عواصمكم، والأدل نبض الحقيقة كيف تلهج بها الألسن وترتلها القلوب، وإن كان شعراً أو قصيداً فشرفات دمشق تتلقف عطر الكلام لتُبنى الأرواح من جديد، وإذا كان فكراً سيستمر البناء، فالمثقفون في الميدان جنود الكلمة ومتراسها في المواجهة، وفي البدء كان المثقف مسؤولاً... هنا المعنى حينما يشكله وجدان الأدباء، ليصبح منمنمات دمشقية طليقة حدّ السماء، هي المقاومة إذن وكيف يشتق لها عمال الكلمة وحارسوها أبجدية متجددة تقرأ النصر في ملكوت مجازه، وتستشرفه أقنوماً يليق بالأحياء/ الأحياء في وطن أبقى هو حديث الشمس كل صباح، حسناً يأتي الكتّاب والمثقفون والأدباء العرب إلى دمشق بنخبهم، يأتون إلى غد سورية.

رواية قصيرة أم قصة طويلة؟!..

قبل تجذّر القصة القصيرة كفنّ مستقل.. في أوروبا والعالم..لم يكن هناك تفريق تقني بين الرواية والقصة..

كتب(فيكتورهيجو) لـ(غوستافلوبير).. بعد أن قرأ روايته (مدام بوفاري)..(لقد كتبت قصة جميلة ياسيدي)..

تسمية قصة في حجم رواية (مدام بوفاري)..يحيل إلى أن القصة ماقبل (تشايكوف) و(جيمس جويس) تحديداً.. لم تكن جنساً أدبياً قائماً بذاته..وبعموم الأحوال فإن استحضار نماذج من القصة الطويلة أو الرواية القصيرة.. مثل..(المعطف) لـ (غوغول)..و(صمت البحر) لـ (جان بروليه)..حتى (الشيخ والبحر) لـ (همنغواي).. يمكن أن يبين أن هذا النموذج كان ناجحاً بالفعل في تقديم عالم فني عالٍ ..وخصوصاً أن هذا النموذج لم يتم تحميله القيم الأدبية والأسلوبية المضافة للرواية فيما بعد عصر (هيجو)..و(دوستويفسكي)....ومع ذلك حقق نجاحاً عالياً ومهماً..وأساساً للرواية فيما بعد..

وحقيقة الأمر أن الرواية التي تم توسيعها لتتسع لعوالم شتى من الأدب والفلسفة والتاريخ والسياسة والشعر.. ولغة السيمياء والإشارات..والايديولوجيا.. وأخيراً..الانتروبولوجيا..أصبحت رواية جديدة تماماً لا تشبه النماذج الروائية المتقدمة..وتم ابتداع أجزاء متسلسلة للرواية..بعناوين مختلفة..إنما يتحرك ضمنها ذات الشخوص الروائية ويكملون سيرورة الحياة في النص المتعاقب..كما في ثلاثية محفوظ مثلاً..

لا بأس..هي فتوحات الإبداع المستمرة.. ولا يهم كثيراً أن نعرف إلى أين سيودي التطور في كتابة الرواية..وخصوصاً أن القصة القصيرة الآن..تكاد تندغم بالشعر أو بالخاطرة..

السؤال الآن..هل بالإمكان العودة إلى نموذج الرواية القصيرة أو القصة الطويلة باعتبارها تحقق الشروط الفنية في السرد باقتصارها على حدث واحد أو خط درامي واحد..يحقق هدفاً غائياً يتصل بالقص في أصوله..كما تبين الدراسة المعلّمة لـ د (رؤى قداح).. عن رواية (حكاية رادا). لـ د (عبد العزيز المسلّم). وتالياً..باعتبار الرواية الطويلة الآن..ومع (كونديرا) و(امبرتو ايكو).. والآن..مع الروسي (ميخائيل شيشكين).. الحائز جائزة البوكر العالمية..بروايته.. (رسالة فينوس).. أصبحت تشكل عبئاً فنياً وتقنيا وحتى معرفياً..لكل من الكاتب والقارئ...بايغالها في الرمزية والتركيب..وتشعب الدلالات.

أجاب عن هذا السؤال أحد الروائيين السوريين الكبار..فقال:نعم..يمكن للروائي أن يكتب نصاً روائياً بحجم متواضع من الصفحات..وينجح فقط حين يكون هذا النص محققاً هدفاً عالياً في الكتابة الروائية..لكنه في كل الأحوال..لا يلغي الرواية كما نعرفها الآن..وألا يستقل النص الروائي قليل الصفحات بأدوات خاصة به تميزه عن الرواية..

في كل الأحوال..سيترك الأمر للمبدعين.. وسيتبين أن الشكل الناجح هو الذي سيستمر في العالم أو عندنا.

شاعر وقصيدة

بدر شاكر السياب..أنشودة المطر

الشاعر العربي العراقي الذي يعد أحد رموز شعر التفعيلة مع نازك الملائكة..ترك إرثاً شعرياً ثراً ..
ولا يمكن لدارس الأدب العربي إلا أن يقف عند إنشودة المطر التي تعد ملحمة من ملاحم الإبداع وهي قراءة واستشراف القادم..نقدم اليوم بعضاً منها.

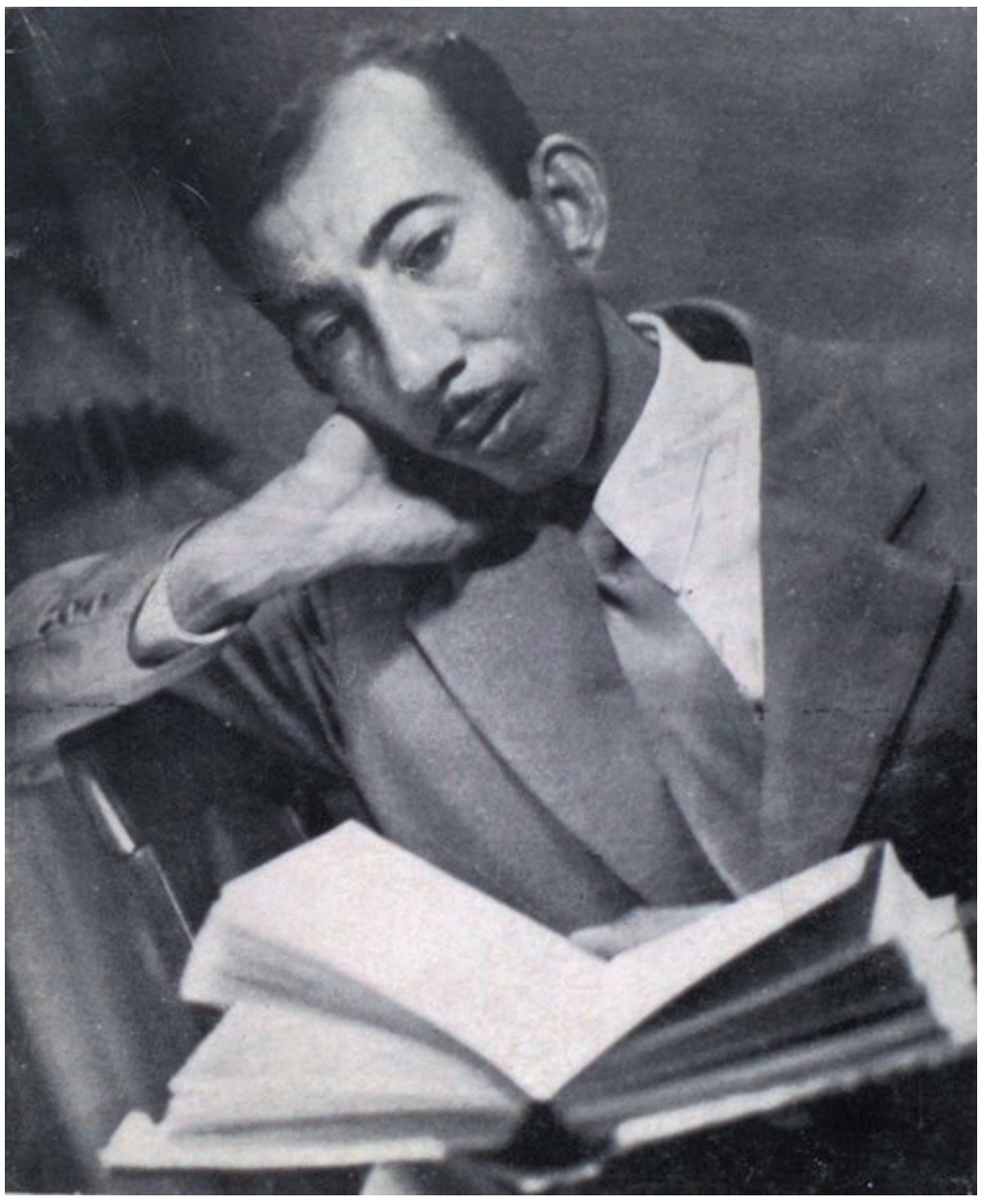

محطات

تقول الموسوعة الحرة في الحديث عن بدر شاكر السياب:
وُلد بدر شاكر السيّاب في قرية جيكور، وهي قرية صغيرة تابعة لقضاء أبي الخصيب في محافظة البصرة، ولا يزيد عدد سكانها آنذاك على (٥٠٠) نسمة، واسمها معناه (الجدول الأعمى) وتُحدّثنا كتب التاريخ على أنها كانت موقعاً من مواقع الزنج الحصينة، وبيوتها بسيطة مبنية من طابوق اللبن، وهو الطابوق غير المفخور بالنار وجذوع أشجار النخيل المتواجدة بكثرة في بساتين جيكور التي يملك (آل السياب - «أسرة سنية المذهب من قبيلة ربيعة» وفيها أراضٍ مزروعة بالنخيل تنتشر فيها أنهار صغيرة تأخذ مياهها من شط العرب، وحين يرتفع المد تملأ الجداول بمائه، وكانت جيكور وارفة الظلال تنتشر فيها الفاكهة بأنواعها، مرتعاً وملعباً. وكان جوّها الشاعري الخلاب أحد ممهدات طاقة السياب الشعرية وذكرياته المبكرة فيه التي ظلت حتى أخريات حياته تمدّ شعره بالحياة والحيوية والتفجر (لقد كانت الطفولة فيها بكل غناها وتوهجها تلمع أمام باصرته كالحلم. ويسجل بعض أجزائها وقصائده ملأى بهذه الصور الطفولية) كما يقول صديقه الحميم، صديق الطفولة: الشاعر محمد علي إسماعيل. إن هذه القرية تابعة لقضاء أبي الخصيب الذي أسسه (القائد مرزوق أبي الخصيب) حاجب الخليفة المنصور عام ١٤٠ هـ والذي شهد وقائع تاريخية مهمة سجّلها التاريخ العربي، أبرزها معركة الزنج وما تبعها من أحداث. هذا القضاء الذي برز فيه شعراء كثيرون منهم (محمد محمود) من مشاهير المجددين في عالم الشعر والنقد الحديث و(محمد علي إسماعيل) صاحب الشعر الكثير في المحافظة و(خليل إسماعيل) الذي ينظم المسرحيات الشعرية ويخرجها بنفسه ويصور ديكورها بريشته و(مصطفى كامل الياسين) الشاعر و(مؤيد العبد الواحد) الشاعر الوجداني الرقيق وهو من رواة شعر السياب و(سعدي يوسف) الشاعر العراقي المعروف و(عبد اللطيف الدليشي) الأديب البصري و(عبد الستار عبد الرزاق الجمعة) وآخرين، قرية صغيرة في جنوب البصرة في سنة ١٩٢٦. لقد فَقَد السياب والدته عندما كان عمره ست سنوات وكان لوفاة أمّه أعمق الأثر في حياته. وبعد إذ أتمّ دروسه الابتدائية في مدرسة (باب سليمان) التي كانت تتكون من أربعة صفوف وتبعد نحو ١٠ كيلو مترات عن منزله بعد انتهاء الصف الرابع انتقل إلى مدرسة (المحمودية) وتبعد عن (باب سليمان) ٣ كيلومترات إضافية وبعدها انتقل إلى مدينة البصرة وتابع فيها دروسه الثانوية، ثم انتقل إلى العاصمة بغداد حيث التحق بدار المعلمين العالية، واختار لنفسه تخصص اللغة العربيّة وقضى سنتين في تعلم الأدب العربي تتبّع ذوق وتحليل واستقصاء؛ ولكن تغيّر في سنة ١٩٤٥ من الأدب إلى متخصص في اللغة الإنكليزية لإتقانه العربية. لقد تخرّج السيّاب من الجامعة عام ١٩٤٨، وفي تلك الأثناء عُرف بميوله السياسية اليسارية كما عُرف بنضاله الوطني في سبيل تحرير العراق من الاحتلال الإنكليزي، وفي سبيل القضية الفلسطينية. وبعد أن أُسندت إليه وظيفة التعليم للغة الإنكليزية في الرمادي، وبعد أن مارسها عدة أشهر فُصل منها بسبب ميوله السياسية وأودع السجن. ولمّا رُدّت إليه حريته اتجه نحو العمل الحر ما بين البصرة وبغداد كما عمل في بعض الوظائف الثانوية، وفي سنة ١٩٥٢ اضطُر إلى مغادرة بلاده والتوّجه إلى إيران فإلى الكويت، وذلك عقب مظاهرات اشترك فيها

أنشودة المطر

عيناك غابتا نخيلٍ ساعةَ السّحر
أو شُرفَتانِ راح ينأى عنهما القمر
عيناك حين تبسِمان تورِقُ الكُروم
وترقصُ الأضواء كالأقمارِ في نهر
يرجُّه المجداف وهناً ساعةَ السّحر
كأنما تنبضُ في غوريهما النّجوم
أنشودة المطر
مطر .. مطر .. مطر
تثاءبَ المساء والغُيوم ماتزال
تسح ماتسِح .. مِن دُموعِها الثقال
كأنَ أقواسَ السّحاب تشرب الغُيوم
وقطرةً فقطرةً تذوبُ في المطر
وتغرقانِ في ضبابٍ مِن أسن شفيف
كالبحر سرّح اليدين
فوقه المساء .. دفءُ الشِتاء
وارتِعاشةُ الخريف
ويهطُلُ المطر
مطر .. مطر .. مطر
أتعلمين
أيَ حُزنٍ يبعث المطر
وكيف يشعُرُ الوحيدُ فيه بالضّياع
كأنّ طِفلاً باتَ يهذي قبل أن ينام
بأن أُمَه التي أفاقَ مُنذُ عام ..
فلم يجدها
ثُم حين لجّ في السؤال
قالوا له: بعدَ غدٍ تعود .. لابدّ أن تعود
فتستفيقُ مِلءَ روحي نشوةُ البُكاء
ورعشةٌ وحشيةٌ تُعانقُ السّماء
كرعشةِ الطِفلِ إذا خافَ مِن القمر
مطر .. مطر .. مطر
ومُقلتاكِ بي تطيفانِ مع المطر
وعبرَ أمواج الخليج تمسح البُروق
شواطيءَ الخليج بالنّجومِ والمحار
كأنها تهمُ بالشّروق
أصيحُ بالخليج .. ياخليج
ويرجعُ الصّدى كأنه النشيج
أصيحُ بالخليج
يا واهبَ اللّؤلؤِ والمحارِ والرّدى
وأسمع الصّدى مِن لُجّةِ القرار
وينثرُ الخليج مِن هِباتِه الكِثار
في كلِ قطرةٍ مِن المطر
هي إبتسامٌ في إنتظارِ مبسم جديد
أو حلمةٌ تورّدت على فمِ الوَليد
في كلِ قطرةٍ مِن المطر
في عالَمِ الغدِ الفتي .. واهبِ الحياه
ويهطِلُ المطر